**خطبة: التفاؤل سنة نبوية.**

**الخطيب: يحيى سليمان العقيلي**

معاشر المؤمنين

حوار بين صديقين لعله دار بين الكثيرين منا ، قال لصاحبه وهو يحاوره : أرأيت المأسي تترا علينا معاشر المسلمين شرقا وغربا وشمالا وجنوبا ، افغانستان والشيشان ثم البوسنة ومالي وهاهي سوريا والعراق وليبيا واخيرا مأساة مسلمي بورما ، فإلى متى تستمر هذه المأسي والنكبات ،

فقال صاحبه : ياأخي لاتيأس ولاتحزن والفرج سيأتي من الله تعالى ،

فرد عليه مقاطعا : وكيف نتفاءل ولانيأس ونحن لانكاد نفيق من مأساة حتى تأتي الأخرى وأحوالنا تزداد تفرقا وضعفا ، أعدؤنا يخططون وينفذون ونحن نتلقى المكائد والضربات ، لانسمع في مجالسنا الا الأخبار السيئة والتشاؤم .

ردعليه صاحبه مبتسما : ومع كل هذا يبقى الأمل والتفاؤل مبدأ لنا ، وتأمل معي في حدثٍ واحد من مواقف السيرة النبوية حدثِ الهجرة للمدينة ، لترى كيف كان التفاؤل ملازما للنبي صلى الله عليه وسلم .

خرج عليه الصلاة والسلام مع أبي بكر من مكة الى المدينة وإذا بالقرآن يتنزّل : إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ۚ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ مَن جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (85 القصص) عرف الله تعالى شوق نبيه لمكة فقال له جبريل إن الله يقول : إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد أي إلى مكة ظاهرا عليها .

ولما وصلا الى غار ثور وأحاط بهم الكفار حتى قال أبو بكر رضي الله عنه : يا رسولَ الله ، لو نظرَ أحدُهم إلى أسفلِ قدميه لرآنا ،

فرد صلى الله عليه وسلم بكل طمأنينة وتفاؤل :يا أبا بكر ، ما ظنك باثنين الله ثالثهما ، وأنزل الله تعالى قرآنا يتلى ، يربي المومنين على حسن التوكل على الله ، والثقة به والتفاؤل بنصره " إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (40 التوبة )

ولما لحق بهم سراقة بن مالك طمعا في نيل جائزة قريش المائة ناقة ، وأبو بكر يتلفت بقلق الى سراقة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يسير سير الواثق المطمئن يتلوا كتاب الله حتى إقترب سراقة منهما ، وإذا بقوائم فرسه تسيخ في الأرض ويسقط ، ويكرر المحاولة ويتكرر السقوط ، فعلم أنهما محميان من الله تعالى ، فطلب الأمان من النبي صلى الله عليه وسلم ، فتأمل رعاك الله المطاردُ المسلح يطلب الأمان من المطارَد الأعزل ،

فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : كيف بك يا سراقة إذا لبست سواري كسرى؟! فقال سراقة: كسرى بن هرمز؟! قال له النبي صلى الله عليه وسلم: نعم كسرى بن هرمز -وحدث هذا فعلاً- فقد غنم المسلمون في القادسبة وجاءت الغنائم إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقال: أين سراقة؟ فجيء به، فأخذ تاج كسرى بيده، وألبسه سراقة، وقال: الحمد لله الذي سلبها كسرى بن هرمز، وألبسها أعرابياً من بني مدلج )، إنها أحلام الأمس، ولكنها حقائق اليوم .

ويتابع هذا الصديق حواره ويقول :

ويمضي رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه حتى إقترب من المدينة المنورة؛ وإذا برجل اسمه بريدة بن الحصيب، زعيم قبيلةِ أسلم، قد خرج له في سبعين من قبيلته يريد الإمساك بهما ليحصل على مكافأة قريش الكبيرة، فكان هذا الموقف العجيب

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ بُرَيْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم لاَ يَتَطَيَّرُ، وَلَكِنْ يَتَفَاءَلُ قَالَ: فَكَانَتْ قُرَيْشٌ جَعَلَتْ مِائَةً مِنَ الإِبِلِ، لِمَنْ يَأْخُذُ نَبِيَّ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَيَرُدَّهُ عَلَيْهِمْ؛ حَيْثُ تَوَجَّهَ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَأَقْبَلَ بُرَيْدَةُ فِي سَبْعِينَ رَاكِبًا مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ مِنْ بَنِي سَهْمٍ فَتَلَقَّوْا نَبِيَّ اللهِ صلى الله عليه وسلم لَيْلاً.

فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: “مَنْ أَنْتَ؟” قَالَ: أَنَا بُرَيْدَةُ. فَالْتَفَتَ إِلَى أبي بكر رضي الله عنه، فَقَالَ: “يَا أَبَا بَكْرٍ، بَرُدَ[1] أَمْرُنَا وَصَلُحَ“ مَعْنَاهُ سَهُلٌ أَمْرُنَا. قَالَ: “ثُمَّ مِمَّنْ؟“ قَالَ: مِنْ أَسْلَمَ. قَالَ: “سَلِمْتَ“. قَالَ: “ثُمَّ مِمَّنْ؟” قَالَ: مِنْ بَنِي سَهْمٍ. قَالَ: “خَرَجَ سَهْمُكَ الفلاح والظَّفَر [2]“.

فَقَالَ لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم: فَمَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: “مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ رَسُولُ اللهِ“. قَالَ بُرَيْدَةُ: “أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَأَنَّكَ عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ”.

قَالَ: فَأَسْلَمَ بُرَيْدَةُ، وَأَسْلَمَ الَّذِينَ مَعَهُ جَمِيعًا، فَلَمَّا أَنْ أَصْبَحَ، قَالَ لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم: لاَ تَدْخُلِ الْمَدِينَةَ إِلاَّ وَمَعَكَ لِوَاءٌ. قَالَ: فَحَلَّ عِمَامَتَهُ، ثُمَّ شَدَّهَا فِي رُمْحٍ، ثُمَّ مَشَى بَيْنَ يَدَيْهِ حَتَّى دَخَلَ الْمَدِينَةَ[3].

فتأمل في هذا الموقف كيف أن بريدة رضي الله عنه قد خرج لأمر فأراد الله أمرًا آخر! خرج طمعًا في دنيا قريش، فإذا بالله عز وجل يفتح قلبه للإسلام، فيُؤمن في لحظات، هو وقبيلته الكبيرة،

وصدق الله جلّ وعلا إذ يقول " حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ (110يوسف)

عندها أطرق صاحبه داعيا : نسأل الله تعالى أن يحقق إيماننا ويملأ قلوبنا طمأنينة وتفاؤلا وتوكلا .

وفقنا الله لرضاه وأعاننا على ذكره وشكره وحسن عبادته ، أقول ماتسمعون وأستغفر الله لي ولكم

معاشر المؤمنين

عَن أَبِي رَزِينٍ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ( ضَحِكَ رَبُّنَا مِنْ قُنُوطِ عِبَادِهِ ، وَقُرْبِ غِيَرِهِ ) قَالَ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوَ يَضْحَكُ الرَّبُّ، قَالَ: (نَعَمْ) ، قُلْتُ: لَنْ نَعْدَمَ مِنْ رَبٍّ يَضْحَكُ خَيْرًا " .

قال ابن رجب رحمه الله :

" وَالْمَعْنَى أَنَّهُ سُبْحَانَهُ يَعْجَبُ مِنْ قُنُوطِ عِبَادِهِ عِنْدَ احْتِبَاسِ الْقَطْرِ عَنْهُمْ وَقُنُوطِهِمْ وَيَأْسِهِمْ مِنَ الرَّحْمَةِ ، وَقَدِ اقْتَرَبَ وَقْتُ فَرَجِهِ وَرَحْمَتِهِ لِعِبَادِهِ ، بِإِنْزَالِ الْغَيْثِ عَلَيْهِمْ ، وَتَغْيِيرِهِ لِحَالِهِمْ ...

وهَذَا محلٌّ عجيبٌ حَقًّا؛ إِذْ كَيْفَ يَقْنَطُونَ وَرَحْمَتُهُ وَسِعَتْ كلَّ شَيْءٍ ، وصدق الله تعالى إذ يقول "وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِن بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ ۚ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ (28 الشورى)

[وقد ذهب إلى تقوية الحديث : شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ، فحَسَّنه في " مجموع الفتاوى " (3/ 139) ، وحسنه – أيضا – بطرقه : الشيخ الألباني رحمه الله في "السلسلة الصحيحة" (2810) ، وانتصر لذلك ابن القيم بقوة .]

إن التفاؤل عباد الله إنما ينبعث من قلوب عمّرها الايمان ، وجمّلتها طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، وعقول إستنارت بالعلم النافع والوعي الصادق بماضيها وحاضرها ومستقبلها ، وأدركت رسالتها في الحياة فعملت لتحقيقها وإستجلبت معية الله تعالى وتوفيقه بذلك